ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

جُذُور العلاقات المغربية الأفريقية
انتماء قاري ببعد عربي إسلامي

د. نـور الدين الداودي

باحث في العلاقات الدولية والقانون الدولي

جامعة محمد الخامس

الرباط – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

يتناول هذا المقال موضوع الدبلوماسية المغربية اتجاه القارة السمراء وذلك من منظور تاريخي مستشرف على المستقبل، ويوضح طبيعة علاقة المغرب كدولة عربية اسلامية بدول أفريقيا جنوب الصحراء عبر الأزمنة، وكيف أن هذه العلاقة تتجاذب وتتنافر عبر توالي الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، بانيتا بذلك تراكم تاريخي للدبلوماسية المغربية الافريقية انطلاقًا من الهوية العربية والاسلامية، وكل ذلك من أجل تقريب فهم أسباب الاهتمام المغربي بالقارة السمراء من خلال الزيارات الأخيرة التي يقوم بها العاهل المغربي لبعض البلدان الأفريقية، وكذا باعتبار المغرب في بحث دائم عن موطئ قدم داخل المنطقة الأفريقية في خضم المنافسة الأوروبية على القارة السمراء.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٤ يونيو ٢٠١٥

تاريخ قبـول النشـر: ١٦ سبتمبر ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

الدولـة الأمازيغيـة، المـرابطين، الموحـدين، الأسـرة المرينيـة، المورسكيون

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نور الدين الداودي. "جذور العلاقات المغربية الأفريقية: انتماء قاري ببعد عربي إسلامي".- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٦. ص٥٨ – ٦٧.

مُقَدِّمَةْ

يعتبر التاريخ نافذة الماضي، وهو على ثلاثة أنواع، تأريخ التاريخ أي كتابة التاريخ بهوى المؤرخ، وعلم التاريخ أي كتابة التاريخ بموضوعية، وفلسفة التاريخ أي دراسة التاريخ بعمق وتفحص الأحداث بدقة متناهية بهدف استجلاء نظريات قد تنفعنا في دراسة المستقبل. وعلى ذلك، فدبلوماسية الدولة نفهمها بفهم تاريخها الدبلوماسي من خلال دراسة أصول أوضاعها الداخلية وامتدادها الخارجي، فلا يمكن فهم مكانة الدول في المنتظم الدولي دونما الرجوع إلى تاريخها، فمثلاً لفهم القوة الدبلوماسية للدول الكبرى كبريطانيا أو فرنسا أو تركيا، لا يجب تناوله بمعزل عن تاريخها الدبلوماسي.

ولعل الدور الدبلوماسي التي تلعبه دول المغرب العربي بأفريقيا سواء في تحقيق الأمن أو التعاون الاقتصادي، يبعث بالاهتمام خاصةً وأن تلك الدول أصبح نفوذها في القارة في تزايد مستمر وينافس النفوذ الأوروبي في المنطقة (فرنسا، إسبانيا، بريطانيا)، وهذا ما ينطبق فعلاً على العلاقات المغربية الافريقية. فأفريقيا تحتوي على أكثر من نصف العرب، كما أن عرب أسيا منذ تاريخهم البعيد كانوا على صلة وثيقة بشرقي أفريقيا على الأقل، إن لم نذهب إلى ما هو أكثر في فرضيات السلالات والهجرات، والربط بين المغرب وأفريقيا من منظور يحلل الماضي ويتطلع إلى المستقبل، لا يعني أكثر من تأكيد المعطيات التاريخية والجغرافية التي جمعت على الدوام ما بين العرب والقارة السمراء.

ولقد تدخلت في نسج العلاقات المغربية الافريقية على امتداد التاريخ عوامل عدة لا تكاد تتفاوت في الأهمية منها الاقتصادي والتجاري والديني والثقافي والسياسي الاستراتيجي[1]. جعلت من الدبلوماسية المغربية الافريقية يطبعها نوع من التميز على

المستوى القاري. ولعل هذا التميز أو بالأحرى الاهتمام المغرب بأفريقيا الممتد إلى عصرنا الآن، يبرز أهمية البحث في أصول هذه العلاقة، ويطرح إشكالاً جوهريًا في طبيعة تاريخ العلاقات المغربية بالقارة السمراء، هل هي علاقة بالفعل تعبر عن انتماء قاري رغم انتمائه للعالم العربي والاسلامي؟ وللخوض في هذا الإشكال ستكون نقطة التأصيل للموضوع تبدأ من فترة تبلور مفهوم الدولة في المغرب أي منذ عهد الدولة الأمازيغية، لأنه من الصعب الحديث عن علاقات دبلوماسية قبل هذا العهد لاعتبارات عدة أهمها عدم الاستقرار السياسي للدول التي تعاقبت على حكم المغرب آنذاك كالدولة البيزنطية والدولة الأموية بقيادة عقبة بن نافع الفهري، والدولة البرغواطية والدولة الإدريسية[٢] التي لم تعمر طويلاً وانقسمت فيما بعد إلى دويلات صغيرة. وعلى ذلك سيتم اعتماد في تحليل هذا الموضوع على مستويين: المستوى الأول سيتناول العلاقات المغربية الافريقية في عهد الدولة الأمازيغية، أما المستوى الثاني سيتطرق إلى العلاقات المغربية الافريقية في عهد الدولة القومية.

أولاً: العلاقات المغربية الأفريقية في عهد الدولة الأمازيغية

رغم أن أغلب عرب أفريقيا يستوطنون شمال القارة، فإن الصحراء الكبرى لم تشكل بالنسبة إليهم حاجزًا يصعب اجتيازه نحو عمق القارة، بل جابوا الصحراء طولاً وعرضًا، وعمروا بها المراكز والمدن، مما تزال آثاره ماثلة إلى الآن، كما أن التحركات السكانية كانت رافدًا لهذا الاتصال وخاصةً شرق القارة باتجاه الغرب والجنوب. فالمناطق الشاسعة جنوب المغرب منها سجلماسة "مدينة تافلالت حاليًا" حتى نهر النيجر كانت تعتبر مناطق أفريقيا جنوب الصحراء. وجدير بالذكر؛ أن منطقة صحراء أفريقيا كانت أيضا ملاذا للقبائل المضطهدة من الحروب، فلقد هربت قبائل صنهاجة والتي كانت قبائل بربرية تضم عددًا من القبائل كلمتونة والطوارق والتواركة إلى الصحراء خوفًا من الحروب[٣]. وهذا الاعمار السكاني مهد إلى بروز دول بربرية قوية استطاعت أن تفرض مكانتها في المنطقة وهي دولة المرابطين ودولة الموحدين ودولة المرينيين.

١/١- علاقات المرابطين مع أفريقيا

المرابطون هم من قبيلة صنهاجة[٤] وينتمون إلى قبيلة لمتونة، ولقبوا بالمرابطين ارتباطًا إلى مكان منشئهم وهو الرباط، والرباط مكان للتعبد ومسجد للتزهد وتعليم القرآن ومبادئ الاسلام، أنشأه المعلم الديني عبد الله بن ياسين والزعيم السياسي يحيى بن عمر[٥] على مصب نهر السينغال. وهنا سنحاول رصد البعد الجيوستراتيجي لقيام الدولة المرابطية والذي أدى إلى بروز نوع من العلاقات الخارجية مع أفريقيا جنوب الصحراء.

١/١) ١- البعد الجيوستراتيجي لقيام الدولة المرابطية:

الدولة المرابطية هي الأسبق تاريخيًا للدول الأمازيغية في المغرب وامتدت جغرافيًا من تافلالت حتى نهر السينغال، وأهم العوامل التي ساهمت في نشأتها:

العامل السياسي والعسكري: ويتجلى في السعي للدفاع عن أنفسهم أمام مملكة غانا وهي مملكة قوية كانت متواجدة في السودان، وتوحيد شمْل كل قبائل صنهاجة، والحفاظ على رباطهم واستطاعوا بذلك تكوين حزب سياسي.[٦]

العامل الاقتصادي: القبائل المرابطية قبائل غنية لها موارد مهمة وتسيطر على واحات غنية وعلى الطرق التجارية وعلى القوافل التجارية، وبذلك عززوا مواردهم الطبيعية وزادوا من توسيع المجال الجغرافي بإمارتهم.

العامل الديني: لعل الفساد الديني الذي انتشر بأفريقيا آنذاك ووصل إلى القبائل البربرية التي تدين بالإسلام، وأصبحت الشعائر الدينية تمارس بطريقة منحرفة عن التعاليم الاسلامية بين هذه القبائل، مما حدى بزعيم قبيلة لمتونة يحيى بن عمر استدعاء المعلم الديني عبد الله بن ياسين، لتلقين الدين الاسلامي لأهل قبيلته ولتصحيح عقيدتهم ونشر المبادئ الأخلاقية.

والأكيد أن كل تلك العوامل كان لها دور أساسي في التوسع الجغرافي للمرابطين في أفريقيا، لكن العامل الديني كان محفز أكبر لهذا التوسع. فجدير بالذكر أن الدولة المرابطية قامت على الجهاد ونشر الإسلام فيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وكان لها تأثير تاريخي في غرب أفريقيا في إسلام معظم قبائله وما استتبع ذلك من انتشار للثقافة العربية الاسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء[٧].

١/١) ٢- روابط المرابطين في أفريقيا:

امتدت الدولة المرابطية من المحيط الأطلسي غربًا ونهاية السفانا جنوبا، وليس من اليسير تحديد الحدود الشمالية والشرقية تحديدًا دقيقًا بالمصطلحات الجغرافية التقليدية ولكنها وصلت إلى الأندلس شمالاً وإلى مصر شرقًا. وفي ظل هذا الامتداد الجغرافي سطع نجم يوسف ابن تاشفين كأمير للمسلمين وثاني ملوك الدولة المرابطية من بعد الأمير أبوبكر بن عامر اللمتوني، ومؤسس لأول امبراطورية في الغرب الإسلامي، بحيث استطاع من خلالها أن يفرض مكانة المغرب إلى جانب امبراطوريات قوية بأفريقيا كتلك التي كانت بالسودان "مملكة غانة"، ولعب دور كبير في السياسة الخارجية للمغرب خاصةً مع أفريقيا. وإذا ما أردنا رصد العلاقات المغربية الأفريقية في هذه الفترة التاريخية فسوف نشملها في أربعة مجالات أساسية:

الهجرة: هجرة بعض القبائل البربرية من الشمال إلى الجنوب، وقيامها بالإغارة على القبائل الزنجية التي تسكن جنوب الصحراء، وهذه الغارات التي كان لها أكبر الأثار في

الاتصال والاحتكاك المستمر بين شعوب شمال الصحراء وجنوبها.

التجارة: وتتجلى في التجارة التي مارستها قبائل المرابطين مع قبائل السودان، والتي عرفت باسم التجارة الصامتة وتمثلت في تجارة الذهب والعاج وريش النعام والرقيق في نظير الملح والمنسوجات التي كان يحملها تجار البربر، وازداد هذا الاعتماد المتبادل تطورا بظهور النقود كوسيلة لتسهيل التبادل التجاري وازدهار العملة المرابطية في عهد يوسف ابن تاشفين.[٨]

الجهاد: إن الهجرات التي طبعت حركة الاتصال بين قبائل شمال الصحراء وقبائل جنوب الصحراء بأفريقيا، اتخذت طابعا آخر بعد دخول الإسلام إلى شمال أفريقيا وتوغل القبائل العربية داخل القارة السمراء، بحيث أصبحت الغاية بعد توحد القبائل الأمازيغية وقيام الدولة المرابطية، هي نشر التعاليم الاسلامية في المناطق التي استرعى فيها الفساد عبر توحيد حركة الجهاد التي أدت إلى سقوط إمبراطورية غانا المجوسية أقوى ممالك السودان الغربي آنذاك[٩].

الثقافة: في ركاب المرابطين دخلت الثقافة الإسلامية العربية متدفقة إلى غرب أفريقيا حينما أسست مدينة تمبكت[١٠]، وازدهرت المراكز الثقافية مثل أودغست وغانة وجنى وانطبعت الثقافة العربية في المنطقة بطابع مغربي واضح[١١] فكان المذهب المالكي هومذهب هذه الشعوب، كما كانت المدارس والكتب المتداولة مغربية الطابع.

وعلى العموم فالدولة المرابطية لعبت دورًا أساسيًا في تأصيل العلاقات المغربية الإفريقية، وإن كانت لم ترقى إلى مستويات عليا للدبلوماسية، وكانت في الغالب ما تتراوح ما بين حالت السلم عبر التعاون التقليدي، والا سلم عن طريق الحركات الجهادية ونشر الدين الاسلامي باعتبار أن الدولة المرابطية قامت على أسس دينية. ومما يؤسف له أن هذه الإمبراطورية تعرضت لعداوات ممن جاؤوا بعدها من الموحدين والأندلسيين الذين حملوا عليها حملة ظالمة فمحوا آثارها، وحاولوا النيل منها وتشويهها ولم يكن ذلك إلا نتيجة للتعصب القبلي والديني والمذهبي، وهذا ما أعلن عن نهاية الدولة المرابطية وفتح المجال لبروز نجم الموحدين.

٢/١- علاقات الموحدين مع أفريقيا

لعب الموحدين دورًا كبيرًا في إدراج المغرب ضمن السجل التاريخي العالمي، فهم الذين جعلوا من المغرب دولة عظمى لفترة طويلة، وبظهور الموحدين الذي صادف تقلص ظل الخلافة في العراق، برز عامل جديد في العلاقات المغربية بجواره الإقليمي، وكان يتلخص في المنافسة الحادة بين مراكش وبغداد، وكانت تعكس بآثارها على تحركات الموحدين سواء في المشرق أوفي أروبا أوفي جنوب أفريقيا، وقد كان هذا من بواعث التحرك الديبلوماسي المكثف على صعيد شامل، الأمر الذي يُرى آثاره البارزة في الوثائق العربية أو الوثائق المحفوظة في المكتبات الأوربية.[١٢]

(٢/١) ١- القوة الاستراتيجية للدولة الموحدية:

لمعرفة العلاقات الخارجية للموحدين مع أفريقيا، يستوجب معرفة سر قوة الموحدين في تأسيس دولة قوية استطاعت أن تفرض مكانتها ليس على مستوى القاري فحسب بل تجاوزه إلى خارج القارة الإفريقية، وعلى العموم يمكن إجمال أهم عوامل قوة الموحدين في النقاط التالية:

العامل الدعوي: إن الموحدين هم عائلة من قبائل جبال الأطلس تسمى مصمودة الأمازيغية والتي ارتبطت في البداية باسم المهدي بن تومرت ومن بعده عبد المومن بن علي الكومي وهو مواطن تونسي من قبائل زناتة الأمازيغية، وبذلك ستخرج السلطة من قبيلة مصمودة إلى قبيلة زناتة. والمهدي بن تومرت عاد من رحلته إلى الشرق سنة ١١٢٠ م بعدما درس الفقه وعلوم القرآن في المشرق العربي واستقر المهدي بمدينة مراكش. وفي سنة ١١٢٤ م أعلن المهدي عن رفضه للسلطة المرابطية فبدأ يدعوا إلى مذهب جديد يسمى بالمذهب الموحدي القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيطرد المهدي من مراكش إلى تخوم جبال الأطلس فبنى مسجد تينمل، وسيتوافد على هذا المسجد الآلاف من المغاربة للالتحاق بالمهدي ليفقههم في الدين.

التنظيم المؤسساتي: استطاع المهدي بن تومرت أن يكون خلية جيش ويكون بذرة دولة، حيث نظم أنصاره إلى ثلاثة مجالس؛ (المجلس الأول): يسمى بأهل الدار، يضم الأشخاص المقربين للمهدي، أي بمثابة مجلس المستشارين. (المجلس الثاني): يسمى مجلس العشرة ويضم عشر شخصيات من رفاق المهدي ومنهم عبد المومن بن علي الكومي، ويقرر في المسائل العسكرية. (المجلس الثالث): يسمى مجلس الخمسين، ويضم ممثلين القبائل التي دخلت في المذهب الموحدي وناصرت المهدي بن تومرت.

العامل الجغرافي: في سنة ١١٤٥ م دخل عبد المومن بن علي الكومي - الخليفة المؤسس لدولة الموحدين - إلى فاس ومراكش لتسهيل السيطرة على المغرب، وهنا يظهر دور الظروف الطبيعية والجغرافية في صنع العلاقات الدولية، فالسيطرة على فاس ومراكش، سهل السيطرة على المغرب، فتم بسط النفوذ الموحدي إلى كل المغرب ومد سلطته إلى المغرب الأوسط، ففي سنة ١١٦١ م تم الزحف على تونس وليبيا وأصبحت امبراطورية عبد المومن تمتد من هضبة برقة شرقا ومدينة سلا غربًا.

العامل الاقتصادي: تميزت موارد الموحدين بالتنوع، فالتوفر على الموارد الطبيعية الهائلة ومناجم الذهب والنحاس، والسيطرة على الأراضي الخصبة، إضافة إلى ممارسة التجارة البحرية، حيث أصبح الموحدون يلعبون دور الوسيط التجاري

بين الأوربيين والأفارقة، زيادة على فرضهم لمختلف الضرائب الشرعية والغير الشرعية[١٣].

كل تلك العوامل ساهمت في تأسيس امبراطورية قوية في المغرب، ذات بعد استراتيجي، استطاعت أن توحد شمال أفريقيا وتتعداها لتعبر بلاد الأندلس لينتصروا على المسيحيين سنة ١١٩٤ م في معركة الأرك في عهد يعقوب المنصور الموحدي.

(٢/١) ٢- أفريقيا في السياسة الخارجية للموحدين:

تميزت العلاقات الخارجية للدولة الموحدية مع أفريقيا بمستويين، المستوى الأول علاقة يطبعها السلم والاحترام المتبادل، والمستوى الثاني علاقة يطبعها الصراع وإثبات الذات.

علاقة السلم والتعاون: جدير بالذكر أن الامبراطورية الموحدية حرصة على دعم صلتها بالمماليك والإمارات الإفريقية، كما حرص الموحدون على أن لا يقحموا أنفسهم في الشؤون الداخلية لتلك الجهات مادامت موالية للخلافة. وقد اضطلع الموحدون بدور هام على مستوى التعاون مع دول المنطقة ويظهر ذلك في مجموعة من القضايا أبرزها الدعم الذي وجهه الموحدين لسجلماسة من أجل التغلب على المشاكل الاقتصادي الناتجة عن انصياعها لحكام مايوركا الإسبانية. ولعل طبيعة هذه العلاقة ساهمت وبشكل كبير في ولاء مجموعة من المماليك الافريقية للخلافة الموحدية، بحيث نجد حشود منهم بجانب الخليفة أيام الحروب كما هو الحال في معركة الأرك ومعركة العقاب، أو يتواجدون ببلاط الخليفة لتبادل المراسلات بالمناسبات، وهذا ما يظهر في مجموعة من المراسلات باللغة العربية التي كانت تتبادل بين الخلافة وبين بعض إمارات غانة ممن لم تعتنق الإسلام.[١٤]

علاقة الصراع وإثبات الذات: إن قوة الموحدين في المنطقة الافريقية جعلتها محطة احتكاك مع باقي القوى المجاورة، وبذلك كان من الضروري أن تحافظ على مصالحها داخل القارة من الأطماع الخارجيين بالقوة. ويظهر ذلك في علاقة الموحدين بمملكة بني غانية في جزر البليار التي ينسبها المؤرخون إلى الزنوج الذين جاء بهم المرابطون من مملكة غانا، ولأن حاكم هذه الدولة كان أسود زنجيا، أطلق على هذه الدولة المتواجدة شرق إسبانيا في البحر الأبيض المتوسط ببنوغانية، وكانوا ولاة للمرابطين في البليار، وحتى بعد انتهاء الإمبراطورية المرابطية، بقيت دولة بنوغانية تدعوا إلى إحياء أمجاد المرابطين، فاستفادوا من الدعم العباسي من نقود وجنود وعتاد عسكري، مما مكنهم من النزول إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط فسيطروا على مدينة الجزائر ووهران ومليلية.[١٥]

ولقد عانى الموحدون من غارات بني غانية خاصةً في كل من تونس والجزائر، ولم يتمكن السلطان الموحدي محمد الناصر من القضاء عليهم إلا بعد أن كلف القائد أبا محمد الحفصي لمواجهة بني غانية فاستطاع أن يطردهم من تونس والجزائر وتعقبهم إلى جزر البليار وأفنى هذه الجزر.[١٦] وعلى العموم، فالإمبراطورية الموحدية التي أخضعت مماليك أفريقيا جنوب الصحراء مثل مملكة السودان ومملكة بني غانية وذلك بقيادة عبد المومن بن علي واستكمل عزها يوسف بن عبد المومن وحفيده يعقوب المنصور الموحدي ستجد نفسها في الانهيار والاندثار في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وستقسم الإمبراطورية الموحدية إلى دويلات صغيرة، دولة المرنيين بالمغرب ودولة الحفصيين بتونس ودولة بنوزيان في الجزائر ثم دولة القشتاليين في الأندلس.

٣/١- علاقة المرينيين بأفريقيا

ممالك المرينيون والحفصيون وبنوزيان كانت إلى عهد قريب تعيش تحت إمبراطورية واحد هي الإمبراطورية الموحدية، وكانت تشكل شعبًا واحدًا ولأن مصيرها سيرتبط ببعضها إلى حد وثيق، إذ ستُؤَثر فيما بينها إما سلبًا أو إيجابًا في توسيع رقعة ممالكهم عند ضعف أي منهم، وعكس ذلك إذا تقوت إحدى الممالك لتمتد للسيطرة على المماليك الأخرى. وتاريخ هذه المماليك الثلاثة يتمحور بالأساس في سعيها إلى إحياء المجد الموحدي الضائع، وبذلك تقاتلت هذه الدول وتناحرت فيما بينها وانشغلت عن النصارى فيما يحدث في الأندلس وفي أفريقيا جنوب الصحراء، معلنتا بذلك عن بدأ أفول مجد الدولة الأمازيغية في المغرب خاصةً في عهد المرينيين وما ترتب عنه من تراجع نفوذ المغرب على مستوى العلاقات مع أفريقيا.

(٣/١) ١- أفول الدولة الأمازيغية في عهد المرينيين:

بنو مرين أسرة أمازيغية تنتمي إلى قبيلة زناتة، وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر، حيث كان عبد المومن بن علي الموحدي ينشأ دولته كانت قبائل مرين تجوب مدينة وجدة وفكيك وتلمسان ووهران، وتعيش على الترحال بين المغرب والجزائر، ولم تفكر هذه القبائل في الاستقرار إلا في بداية القرن الثالث عشر. وفي سنة ١٢٦٩ م سيقتل الملك الموحدي الأخير على يد المرينيين، ليتولوا زمام حكم المغرب إلى غاية ١٤٧٢م بحيث ستنهار الدولة المرينية على يد الوطاسيين.[١٧] ومن الأسباب التي أدت إلى فشل المرينيين في عدم جعل المغرب دولة عظمى تحظى بالمكانة نفسها التي كان عليها من قبل خاصةً على مستوى العلاقات الخارجية، نذكر ما يلي:

صراع أفراد الأسرة المرينية على العرش: حيث تدخل كل مَنْ له مصلحة في العرش من جيش وقادة دينيين، وقادة سياسيين، وتدخل الأجانب، وبذلك تأجج الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة وملوك العرش للتحالف مع الدول الأجنبية للسطو على عرش الدولة المرينية، واشتهرت هذه الحقبة بكثرة الاغتيالات بين أفراد الأسرة الحاكمة الواحدة، فمثلاً في سنة ١٣٥٨م اغتيل أبو عنان الذي اغتصب العرش من أبيه أبو الحسن، وأبو عنان قتل خنقا على يد أحد وزرائه. وجدير

بالذكر؛ أن هذه الفترة لم تعرف استقرار على رأس السلطة فمن سنة ١٣٥٨م إلى سنة ١٣٧٤م تولى فيها السلطة على عرش الدولة في فاس سبعة عشر سلطان وملكًا مرينيًا.

ضعف الجيش وسوء تنظيمه: الجيش عماد الدولة ودوره أساسي في العلاقات الدولية، وجيش المرينيين كان ضعيفًا وسيء التنظيم، وكان قليل العدد بالمقارنة مع الجيش الموحدي، وهذا الأمر له ارتباط وثيق بتقلص المساحة الجغرافية للمغرب وعلاقته بتقلص عدد الجيوش، كما أن ضعف الجيش المريني يرجع بالأساس إلى تركيبته من قبائل ضعيفة وأغلبهم من المرتزقة الأفارقة واليهود والزنوج والعرب والأمازيغ والنصارى لا يقاتلون إلا من أجل المال.[١٨]

قوة أعداء المرينيين: إذا كانت الدولة المغربية ضعفت في عهد الحكم المريني، ففي المقابل عرفت دول الجوار خاصةً في كل من تونس والجزائر صحوة في عهد الحفصيين وبنو عبد الواد، فشكلتا قوى منافسة في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك فتوحد كل من قشتالة وليون بدعم من الدول الأوربية القوية، زاد في تفكيك قوة المرنيين.

عدم قيام الدولة المرينية على مذهب ديني: لم يتبن المرينيون أي مذهب ديني موحد لدولتهم ليقطع الطريق أمام اختلاف فقهاء الدين، مما ساعد على بروز الزوايا،[١٩] والزوايا هي تنظيمات صوفية بدأت بالظهور منذ منتصف القرن الثالث عشر، حينما فسد نظام حكم الموحدين، واعتكف شيوخ الزوايا للتعبد في القرى لدعوة الشعب إلى الرجوع للتعاليم الإسلامية والسنة النبوية فكانت بذلك تقوم بدور ديني محض، وحينما بدا بأن ملوك المرنيين قد انشغلوا بصراعهم على السلطة وتوالي الأزمات بدأ الفقهاء في لعب الدور السياسي للسلطة، فمنذ أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ميلادي سيبدأ الأوربيون بالسيطرة على المدن الساحلية المغربية، وبانتشار الجواسيس المسيحية في المغرب بسبب ضعف السلطة المركزية سيتأجج الحماس الديني للمغاربة وستتزعم الزوايا الجهاد المقدس ضد النصارى، ونالت الزوايا شهرة واسعة وتعاطف الشعب المغربي معها وظهرت مجموعة من الزوايا في هذه الفترة أبرزها الزاوية الجازولية في تارودانت جنوب المغرب، والزاوية القادرية في فاس وسط المغرب، وزاوية بني راشد في طنجة وتطوان بشمال المغرب.

ظهور الموريسكيون في أرض المغرب: المرسكيون هم المواطنين الأمازيغ والعرب الذين كانوا في الأندلس وطردوا إلى شمال أفريقيا،[٢٠] ففي القرن الرابع عشر وعلى إثر إحداث الأوربيون لمحاكم التفتيش في الأندلس لتقفي أثر المسلمين القبعين بأراضي الأندلس، نزلت أعداد من الفارين من الموريسكيين في سواحل المغرب وتونس والجزائر ولبنان ومصر، واستطاعوا أن يهربوا أموالاً طائلة من إسبانيا. وفي بداية القرن السابع عشر وبالضبط سنة ١٦٠٣م سينشؤون دولة في الرباط تسمى جمهورية أبي رقراق وكان يجمع بين هؤلاء الموريسكيين هو حقدهم الشديد على البرتغال والاسبان[٢١]، حيث بدأوا بتنظيم أنفسهم للهجوم برًا على المدن الإسبانية والبرتغالية، والهجوم بحرًا على البواخر التي تحمل علمهم، وبذلك ولدت ظاهرة جديدة تسمى بـ "ظاهرة القرصنة" أو ما كان يسميه المغاربة بـ "الجهاد البحري".[٢٢]

(٣/١) ٢- السياسة الخارجية للمرينيين اتجاه أفريقيا:

لقد تمسك ملوك بني مرين بعلاقتهم مع المماليك الإفريقية جنوب الصحراء من خلال المحافظة على علاقات الود والإخاء التي ربطتهم كمسلمين بتلك المماليك، رغم تقلص النفوذ المغربي في المناطق النائية لأفريقيا منذ أوائل العهد الموحدي عندما أتت إمبراطورية مالي على معالم غانة.

وإذا كانت شهرة منسى موسى ملك مالي قد طبقت الآفاق في السودان فإن اسم جـاره السلطان أبي الحسن المريني قد دوت عبر أطراف أفريقيا والأندلس، ولهذا كان من الطبيعي أن تكون علاقات المملكتين قائمة على أساس من الود المتبادل والمصالح المشتركة[٢٣]. وهكذا نجد سفارة من السلطان موسى في بلاط السلطان أبي الحسن لرفع التهنئة في أعقاب استرجاع تلمسان في ماي ١٣٣٧م وتقديم طائفة من الهدايا الثمينة التي كان يهادي ببعضها أحيانا ملوك مصر والشام، وقد استقبلهم العاهل المغربي وأعادهم إلى بلادهم مثقلين بالهدايا والتحف. ولقد كان في الاستطاعة أن تتطور العلاقات بين المملكة المغربية وممالك السودان إلى أحسن أو بالأحرى أن تخرج من إطار المجاملات إلى ميدان التعاون البناء، إلا أن بنو مرين دخلوا في سلسلة من الأحداث الداخلية المفجعة التي أدت في النهاية إلى تدهور وضعهم الخارجي، وبالتالي إلى يأس مرير لم يلبثوا معه أن ينسحبوا منهزمين من كرسي الحكم.

ثانيًا: العلاقات المغربية الافريقية في عهد الدولة القومية

لقد كانت فترة المد الاستعماري التي شملت أفريقيا[٢٤] والعرب على السواء، عاملاً سلبيًا مزدوج التأثير، فهو بقدر ما أطاح بفعالية الوجود العربي بشتى أشكاله وخاصةً منه دخول مناطق إفريقية في إمبراطوريات عربية إسلامية، أو من خلال التحالف والتعاقد بين الممالك الإفريقية وبين امتداد مراكز النفوذ العربية الإسلامية. فإنه أيضًا أضعف العلاقات العربية الإفريقية عن طريق التبادل التجاري باكتشافاته الجغرافية لمسالك التجارة عبر المحيطات، ثم بما أدخله الغرب الاستعماري في ساحة التعامل الدولي من تقنية متطورة في الآلات الحربية والصناعة وغدته الثروة الطبيعية للقارة الإفريقية.[٢٥] ومما تقدم سيتم التفصيل في العلاقات المغربية الافريقية في عهد

الدولة القومية بدءًا من حكم السعديين للمغرب مرورًا بعهد العلويين ثم فترة ما بعد استقلال المغرب من الاستعمار في إطار ما يعرف بالعلاقات الدولية المنظمة.

٢/١- علاقة السعديين بأفريقيا

عرف الوضع الدولي سنة ١٥٠٩م انتعاش حركة التوسع الأوروبي، بحثًا عن مستعمرات جديدة ومصادر الثروات، والمناطق الإفريقية كما هو معروف غنية بالمواد الأولية والمعادن الثمينة، ولا غرابة أن تحظى هذه البلدان بالأطماع الأجنبية[٢٦]، خاصةً مع وجود الإسبان على السواحل المغربية في جزر الكناري وتطلعهم لاستغلال خيرات البلدان الافريقية. وفي ظل هذه الأوضاع يمكن القول؛ إن الجهد السياسي والعسكري للدولة السعدية وملكها أحمد المنصور الذهبي في هذه الفترة، كان له هدف استراتيجي ووطني وهو فك الطوق على المغرب في الشمال، أما في الجنوب فكان الهدف وقائيًا يرمي إلى منع العثمانيين من الوصول إلى الغرب الإفريقي وشل حركة المستعمرين البرتغاليين.

(٢/١) ١- السعديون وتثبيت الدولة المغربية في الشمال الافريقي:

ظهرت دولة السعديين على أنقاض الدولة الوطاسية،[٢٧] وبظهورها تحول المغرب إلى منطقة تتجه إليها أنظار القوى العالمية على ذلك العهد من المشرق والمغرب، لاسيما بعد ما استطاع الجيش المغربي أن يجهز في أقل من بضع ساعات على جيش البرتغال، أعظم إمبراطورية في العالم آنذاك وينزل الهزيمة بملكها دون سبستيان، ويأخذ معه آلاف الأسرى من مختلف الأجناس في معركة وادي المخازن.[٢٨] ولقد كان على السعديين في هذه الفترة أن يثبتوا ذاتهم في المنطقة من خلال مواجهة مطامع مد الدولة العثمانية في الشرق التي ظهرت كأقوى دولة في العالم، وكذا من خلال الوقوف في وجه مخططات إسبانيا التي ورثت الإمبراطورية البرتغالية الراحلة، وكان عليهم مع هذا وذاك أن يقوموا بأداء رسالتهم في غربي أفريقيا حتى يحموا المنطقة من كل التدخلات الخارجية.

(٢/١) ٢- الامتداد السعدي في أفريقيا:

إن الاهتمام بدراسة الامتداد السعدي في أفريقيا يعود إلى أثره الكبير على تمتين هذه العلاقات من مجرد التواصل بين المغرب وأفريقيا إلى الانسجام والانصهار البشري والتمازج الاقتصادي والثقافي الذي استمر إلى فترة الدولة العلوية. ومهما قيل عن الآثار السلبية التي تركها الجيش المغربي في بعض الدول الافريقية، وأخص بالذكر بلاد السودان، فلا يمكن أن نتنكر لما ترتبت عن تلك الاثار من نشر اللغة العربية والتعريب والثقافة العربية إلى جانب استقرار أفراد من الجيش المغربي في هذه البلاد واندماج بعضهم مع السكان واختلاطهم بهم.[٢٩]

واتسمت العلاقات السياسية بين حكام المغرب وحكام تمبكت بالسودان الغربي بالود وتبادل الهدايا في المناسبات الطيبة، فقد ذكر مثلا أن منسا سليمان حاكم تمبكت لما بلغه وفاة السلطان المغربي أبي الحسن أمر بقراءة القرآن على روحه في المساجد ترحما عليه. ونشير هنا إلى أن هذه العلاقات الودية بدأت تتغير بعد أن أخذ أسكيا محمد ملك سنغاي لقب خليفة التكرور والسودان الغربي من الخليفة العباسي الشيء الذي أصبح يهدد التواجد المغربي بالمنطقة مما أدى فيما بعد بالمنصور السعدي إلى إرسال حملة[٣٠] في يوم ٣٠ ماي ١٥١٩ م دخل على إثرها الجيش المغربي مدينة تمبكت واتخذها عاصمة له بالسودان الغربي. وقد امتد الحكم المغربي للسودان الغربي ثلاثة قرون كاملة، حكم هذه البلاد فيها ١٨٠ حاكمًا كانوا يلقبوا بالباشوات، ينتسبون كلهم تقريبا لعائلات مغربية معروفة في مراكش وفاس وسلا، وحكموا باسم سلاطين المغرب، وكان يدعى للسلطان المغربي في المساجد.

وجدير بالذكر؛ أن الادارة المغربية في هذه الفترة أبقت على الهياكل التقليدية للسودان الغربي والممالك التي كانت قائمة به مع ضمان ولائها للمغرب، وتقبلها للإدارة والقانون المغربي، وقد احتفظت الإدارة الجديدة في تمبكت بكل مظاهر الملك على أن يعترفوا بالبيعة للسلطان السعدي، وقد عين الأسكيا محمد كاغ حاكما لها وسار خليفة الأسكيا سليمان على نفس النهج[٣١]، واستمر الوضع إلى أن سقطت تمبكت في أيدي الجيش الفرنسي سنة ١٨٩٤م. وعلى العموم؛ فلقد قام الحكم السعدي في السودان على أساسين أولهما ممارسة إحدى واجبات الخلافة الإسلامية والبيعة العامة، فالمنصور اعتبر نفسه الخليفة الشرعي الوحيد للمسلمين، وثانيهما اعتبار الأقاليم السودانية من إحدى العمالات التابعة للمغرب.

٢/٢- علاقة العلويين بأفريقيا

لقد عرفت العلاقات الخارجية بين أفريقيا والعرب نوعًا من الركود عند نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ويظهر ذلك في المبادلات التجارية بين القطرين بحيث كانت تبدو معدومة، فالتجارة عبر الصحراء لم تعدّ كما كانت عليه نظرًا للاكتشافات البحرية، وبالتالي حلول الطرق التجارية البحرية محل الصحراوية، أضف إلى ذلك أن العرب أنفسهم قد وقعوا تحت ظلال الاحتلال الغربي الأوروبي، وبذلك بقيت تلك الدول الإفريقية دون حليف لها على المستوى الدولي. وإذا كانت الإمبراطوريات التي أسسها المسلمون الأوائل في أفريقيا الغربية، كإمبراطورية مالي وإمبراطورية سنغاي، لم يكتب لها الاستمرار بفعل الاستعمار الأوربي، فإن القرن التاسع عشر قد شهد منذ بداياته الأولى إمبراطوريات إسلامية جديدة اقترن نشوؤها وتوسعها بالدعوة إلى الجهاد استطاعت في خضم تلك الظرفية

أن تبرز كدولة مركزية قوية على مستوى القارة الافريقية رغم الاطماع الخارجية والحديث هنا عن الدولة العلوية في المغرب.

(٢/٢) ١- توطيد الدولة المركزية:

بعد وفاة السلطان المنصور السعدي دخل المغرب في حالة الضعف، فانقسم إلى مجموعة دويلات وإمارات، إمارة فاس بزعامة المأمون وإمارة مراكش يحكمها زيدان، وتقسمت باقي المناطق بين الزوايا ونخب سياسية محلية، ولهذه الأوضاع تدهور الاقتصاد الوطني وازدادت الأطماع الخارجية خاصةً وأن المد الاستعماري التركي كان على الأبواب الشرقية للمغرب، والتنافس الأوربي على أفريقيا في الشمال.

وفي ظل هذه الأوضاع ظهر العلويون بزعامة مولاي الشريف في منطقة تافيلالت جنوب المغرب كقوة صاعدة استمدوا احترام الناس من نسبهم الشريف لعلي بن أبي طالب، كما أنهم استفادوا من الأهمية التجارية للمنطقة باعتبارها أصبحت من الطرق الرئيسة للتجارة الصحراوية، مما مكنهم من أن يتحول إلى قوى سياسية تطمح إلى الحكم، فنجح العلويون في القضاء على خصومهم وإخضاع المغرب عسكريًا، وقد تمكن السلطان الرشيد من توحيد المغرب بقضائه على الزعمات المتواجدة آنذاك وتوطيد الحكم عبر تأسيس دولة مركزية.

وحري بالذكر؛ أن السياسة الخارجية للعلويين كانت متميزة، فقد ظهر واضحًا ما يتوفر عليه المغرب من مواهب سياسية بارعة كانت تعمل في إطار قطع الطريق على كل الأطماع التي كانت تساور أتراك الجزائر في التراب المغربي، وكانت تعمل من جهة أخرى على الدعم المطلق للباب العالي في مقارعته لخصومه من الدول الأوروبية، وهكذا سهر على حدوده دون أن تمسها يد المتطاولين، وكان في مستوى ماضيه التاريخي.[٣٢]

(٢/٢) ٢- صلة الدولة العلوية بأفريقيا:

لقد ظلت صلات المغرب بممالك أفريقيا، وخاصةً منها الغربية على نحو ما كانت عليه أيام السعديين، وهذا ما يجد تفسيره في الزيارات المغربية لتلك الأصقاع وورود قادة تلك الجهات إلى البلاد المغربية بمناسبة تنصيب الملوك وحلول الأعياد لتجديد الصلات، وبه تفسر أيضًا المصاهرات التي كانت بين ملوك المغرب وبين تلك الإمارات على ضفاف نهر السينغال، وكذا نعت ملوك المغرب بأنهم سلاطين المغرب والسودان، والدعاء لهم على منابر جوامع تلك الجهات إلى غاية مطلع القرن العشرين. وعلى العموم وما يمكن استخلاصه فيما يتصل بالحركات التي عرفها جنوب المغرب في هذه الفترة، أن المغرب ما انفك مرتبطًا ارتباطًا عضويا بأفريقيا جنوب الصحراء، وأن حكمه فيها أو علاقته بها هي امتداد عبر العصور، ومن تم كانت سياسة المغرب الخارجية إزاء الممالك التي تجاوره في الجنوب لا تعني مراكش أو فاس[٣٣] ولا تعني فقط الثغور والجبال، ولكنها تعني بالدرجة الأولى الصحراء امتداده الإفريقي ونافذته إلى بلاد الأندلس وهذا ما يفسره قول الملوك المغاربة إن حدود بلادهم تبتدئ من بعيد.[٣٤]

ومن هنا يمكن استنتاج أن المغرب لم تكن له آلة دبلوماسية هادفة إلى تحقيق مصالح متداخلة اقتصاديًا وسياسيًا وتعتمد على فاعلين سياسيين لهم تكوين خاص وإطار معين يتحركون فيه من أجل الدفاع عن مصالح المغرب ومنافعه، بل كانت دبلوماسية مندرجة في منطق السخرة للسلطان، لذلك لم تكن دبلوماسية تعتمد التراكم والتكامل، بل جاءت مشتتة ومرتبطة بالمهمة وبتكوين المبعوث نفسه، وكانت سببًا غير مباشر في هوان الدولة العلوية، وهذا ما دفع السلطان عبد الحفيظ العلوي للبحث في أسباب اضمحلال المغرب من زاوية علاقاته بالعالم الخارجي، واستطاع الخلوص إلى إصدار كتاب داء العطب قديم، يجسد فيه الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة وعقد الحماية ضاربًا في أعماق هذه العلاقات التي كانت في صالح أوروبا على حساب المغرب، وأشار فيه إلى أن الداء كان مركبًا ساهم فيه المغاربة والأجانب بالإضافة إلى الوسطاء أهل الذمة.[٣٥]

٢/٣- مغرب ما بعد الاستقلال وعلاقته بأفريقيا

على الرغم من أن معاهدة الحماية نصت في فصليها السادس والسابع على حرمان المغرب من ممارسة حقه الدبلوماسي، الذي ظل يزاوله منذ فجر التاريخ، فإن السلطان المغربي ظل بالرغم من ذلك حريصا على إعطاء رأيه في اعتماد القناصل بالمغرب، كما ظل حريصًا على الاتصال بالعالم الخارجي، وهذا ما تجسد بالفعل من خلال اللقاء التاريخي الذي تم سنة ١٩٤٣ م بالدار البيضاء بين الملك الراحل محمد الخامس من جهة وبين الرئيس الأمريكي روزفلت والوزير الأول البريطاني تشرشل، هذا الاجتماع الذي تعمد فيه السلطان المغربي إحضار ابنه وولي العهد آنذاك الأمير الحسن في إشارة إلى تأكيد السيادة المغربية في اتخاذ الموقف الدبلوماسي بخصوص المشاركة العسكرية للمغرب في الحرب العالمية الثانية إلى جانب دول الحلفاء.

وجدير بالذكر؛ أن هذه الفترة تجاوزت فيها الدبلوماسية المغربية مفهومها التقليدي الذي يعتمد على النخب فحسب بل تعدته إلى مفهوم الدبلوماسية الشعبية، ويظهر ذلك من خلال العريضة الشهيرة التي تقدم بها الوطنيون المغاربة لسلطة الحماية يوم ١١ يناير ١٩٤٤ والتي وقعها عن المغاربة ٥٨ شخصية. بالإضافة إلى ذلك ورغم خضوع المغرب للاستعمار تحت غطاء الحماية إلا أنه لم يتوان في اتخاذ مواقف دبلوماسية للدفاع عن قضاياه الوطنية كما هو الحال عند اعتراضه على اضطهاد اليهود المغاربة من قبل النازية في أعقاب انتصارها محتجًا بأنهم مواطنون مغاربة وهذا ما ظهر في توجهات الملك محمد الخامس من خلال إعلان طنجة الذي أعرب فيه عن هوية المغرب ومطامحه،[٣٦] مؤسسًا بذلك لمرحلة جديدة في تاريخ

المغرب الحديث، مرحلة الكفاح من أجل التحرر من قيد الاستعمار الأوربي لأفريقيا.

(٣/٢) ١- الأوضاع الداخلية لمغرب الاستقلال:

لقد اقتحمت القضية المغربية من أجل المطالبة بالاستقلال، التجمعات الدولية من منظمة الأمم المتحدة إلى مؤتمر باندونغ، حيث سجل عدد من المرافعات من قادة الدول الشقيقة في عقر باريس ونيويورك. وعوض أن يستجيب المستعمر لنداء التحرر، أقدم إلى نفي الملك محمد الخامس صحبة عائلته سنة ١٩٥٨م إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر، فاشتعلت بعد ذلك الثورة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي في جميع أنحاء المغرب، الأمر الذي أرغم الحكومة الفرنسية على ارجاع الملك إلى وطنه. وقد تم التوقيع على الاستقلال سنة ١٩٥٦م، وهكذا فبعد زهاء نصف قرن من الجهاد والنضال استرجع المغرب استقلاله، ليسترجع مكانته في المنتظم الدولي عندما رحبت الجمعية العامة بانضمامه في نوفمبر١٩٥٦م. وفي طريق المغرب نحو استكمال وحدته الترابية، استرجع من إسبانيا إقليم طرفايا وسيدي إيفني قبل أن يسترجع منها الصحراء التي احتلتها منذ ١٨٨٤م وذلك بعد اعتراف محكمة العدل الدولية بوجود روابط قانونية وروابط بيعة بين المغرب والصحراء.[٣٧]

وبعد الاستقلال تجسد الاهتمام المغربي بأفريقيا في إنشاء وزارة مكلفة بالعلاقات مع أفريقيا سنة ١٩٦٠م بالإضافة إلى حضور المغرب في جل الملتقيات التي تدافع عن استقلال الدول الافريقية من قيد الاحتلال الأوربي، بل وأحيانًا كان المغرب طرفًا في هذه الملتقيات كما هو الحال عند المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الافريقية. وبحكم أن المغرب ينتمي جغرافيا لأفريقيا التي تشكل بالنسبة له الفضاء الطبيعي والامتداد الاستراتيجي إلى حد أن شبهها الملك الحسن الثاني بالشجرة التي جدورها المغذية في أفريقيا وأوراقها في أوربا، وقد تجسدت هذه الإرادة سياسيا من خلال التنصيص في كافة الدساتير المغربية المتعاقبة على اعتبار المغرب دولة إفريقية تجعل من بين أهدافها تحقيق الوحدة الإفريقية،[٣٨] لكن رغم الاعتبارات الجغرافية والتاريخية التي تربط بين المغرب ومحيطه الإفريقي، فإن السياسة الخارجية للمغرب لم تعكس ذلك بتناغم كبير.

(٣/٢) ٢- الوضع الافريقي في السياسة الخارجية للمغرب الحديث:

دخل المغرب بعد الاستقلال في مسلسل البناء المؤسساتي للدولة، بناء عصري وحديث يتوافق مع التغيرات في المنتظم الدولي، وحمل هذا البناء إلى خارج النطاق الجغرافي من خلال الانضمام إلى الهيئات والتنظيمات الدولية، وقد كانت الجامعة العربية في صدر الهيئات التي انضم إليها المغرب فور استقلاله كما أنه حرص على المشاركة في معظم اللقاءات العربية الإفريقية وفي صدارتها مؤتمرات القمة. وعلى المستوى الإقليمي ما فتئ المغرب يدعوا جيرانه في الشمال الإفريقي[٣٩] الجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا إلى تحقيق الوحدة الكبرى من أجل مغرب عربي كبير، أما على صعيد عدم الانحياز فكان المغرب حاضرًا من خلال اسهامات الملك الحسن الثاني خاصةً في مؤتمر بلغراد ١٩٦٤م يؤكد فيه على تعلقه بمبادئ العدل والحرية وعدم التبعية. أما على صعيد أفريقيا جنوب الصحراء، فالمغرب ظل يشعر بأنه مرتبط بهذه القارة منذ أن دعا الملك محمد الخامس إلى قمة الدار البيضاء سنة ١٩٦١م،[٤٠] ومن هنا برز المغرب كفاعل في الدبلوماسية الأفريقية، خاصةً وأنه أحد مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية سنة ١٩٦٣م[٤١] وظل المغرب يلاءم توجهاته مع رؤى الدول الأفريقية في هذا الإطار على مستويين هما مناهضة الأبارتايد العنصرية وقضية الصحراء الغربية.[٤٢]

(٣/٢) ٢- (١) مناهضة الميز العنصري:

لعب المغرب منذ الاستقلال دورًا نشيطًا في معارضة الميز العنصري (الأبارتيد) وفي المطالبة بإنهاء الاستعمار في أفريقيا، وفي هذا الخصوص استقبل مؤتمر الدار البيضاء سنة ١٩٦١م الزعماء الأفارقة الأكثر تحمسًا للنضال ضد العنصرية والاستعمار مثل الزعيم الغاني نكروما، والرئيس المالي موديبوكيتا، والزعيم المصري جمال عبد الناصر، كما أن المغرب أيد باستمرار القرارات المدافعة عن القضايا الإفريقية في اجتماعات القمة والمؤتمرات الإقليمية والدولية، إلا أن تأييد المغرب لحركات الاستقلال في أفريقيا كان محدود بتحالفه مع القوى الغربية[٤٣]. وترجم ذلك من خلال مشاركته إلى جانب دول الغرب في عدد من الالتزامات الإفريقية الإنسانية كما هو الحال بالنسبة للكونغو سنة (١٩٦٠-١٩٦٧م)، والزايير في أبريل ١٩٧٧م.

ورغم هذا التعاون الدبلوماسي الذي عرف انتعاشًا بعد حركة الاستقلال بين مجموعة من البلدان الإفريقية، وكذا الرغبة السياسية للمغرب في استرجاع النفوذ الدبلوماسي بالقارة، إلا أن ذلك صادف ظهور حركة راديكالية إفريقية تتنافى والتوجهات المغربية، وظهر ذلك في أول مرة عند معارضة المغرب للأبارتايد بالمطالبة بإلغاء القوانين العنصرية عكس البلدان الإفريقية الراديكالية التي كانت تطالب بالقضاء التام على النظام الرأسمالي، وزاد هذا الاختلاف تعميقًا إزاء موقف هذه الحركة اتجاه قضية الصحراء المغربية.

(٣/٢) ٢- (٢) قضية الصحراء المغربية:

وبخصوص قضية الصحراء المغربية سعى المغرب إلى استقطاب إجماع الدول الإفريقية حول قضيته الترابية مستخدما القنوات السياسية والدبلوماسية والإرث التاريخي للعلاقات المغربية والإفريقية، وكانت هذه الغاية من بين أهم أسباب توجهه للمشاركة في تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، إلا أن سياسة المغرب تجاه الصحراء ظلت تقابل من طرف عدد من

البلدان الإفريقية بتشكيك واستخفاف، بل بمعادة صريحة في بعض الأحيان، كما اعتبرت بأنها معارضة لمبدأ تقرير المصير كوسيلة للقضاء على الاستعمار، ومنذ أواسط السبعينات بدأت الأولوية تعطى تدريجيا في مجال العلاقات الخارجية المغربية للبراغماتية في تحقيق المصلحة الوطنية، وهذه الأولوية دفعته للانسحاب من منظمة الوحدة الافريقية سنة ١٩٨٤م عندما قبلت هذه الأخيرة بالجمهورية الصحراوية المزعومة كعضو في المنظمة[٤٤]، وقرار الانسحاب كان تعبيرًا سياسيًا عن غضب المغرب وخيبة أمله على هذا الإجراء لما فيه خرقًا منافيًا لميثاق المنظمة. لكن انسحاب المغرب من الدبلوماسية الجماعية الأفريقية، لا يعني عزلته عن محيطه الإفريقي، بل منذ الاستقلال إلى الآن أبرم مع الدول الأفريقية في إطار الدبلوماسية الثنائية مجموعة من الاتفاقيات للتعاون وأسس لجان مختلطة بين مجموعة من البلدان الأفريقية[٤٥]، وتتمحور تلك الاتفاقيات حول التعاون الاقتصادي، وخاصةً في المجال الصناعي والمالي والتجاري.

خاتمة

إن الإحاطة بتاريخ العلاقات المغربية الإفريقية يؤرخ لمسار تلك العلاقات عبر حقب تاريخية متتالية وأزمنة تتعدد فيها مجالات ومستويات تلك العلاقات وتتأرجح بين المد والجزر دون أن تصل إلى حد القطيعة، لأن الامتداد الجغرافي والبشري والحضاري الذي تكشف عنه دراسة هذا التاريخ يحول دون العزلة المغربية التامة عن القارة الإفريقية التي يظل دائمًا في حاجة إلى إبراز خاصيته الإفريقية والاندماج في محيطه الإفريقي. فسياسيًا المغرب في حاجة إلى دعم أفريقي وإلى رؤية مشتركة وموحدة حول مصير الصحراء، واقتصاديًا المغرب يسعى إلى تنويع شركائه التجاريين والعثور على أسواق جديدة خارج الأسواق الأوربية، وتبقى الإرادة السياسية هي المحدد الأول لنهج هذا الخيار وبلورته على أرض الواقع، ما دام التاريخ يوفر أرضية عتية بالإرث الثقافي والديني والجغرافي المشترك الذي حتما سيساعد على ضخ الدم في أواصل العلاقات الإفريقية إن توفرت الإرادة السياسية لدى الطرفين خاصةً وأن أطروحة علاقات الدول الافريقية الأوربية لم تكرس إلا المزيد من التبعية وإلا تكافئ في التفاوض الدبلوماسي، ولهذا فإيمان الدول الافريقية بمؤهلاتها وبقدراتها، وسيادة المنطق الدبلوماسي رابح، رابح في العلاقات فيما بينها كفيل بأن ييسر مجالات التنمية على مستوى كافة شعوب القارة.

الهَوامِشُ:

(١) شريف إبراهيم، **"العرب وأفريقيا: رهان الحاضر والمستقبل"**. مجلة الوحدة، عدد (٩٧)، أكتوبر ١٩٩٢.

(٢) عماد البحراني، **"دولة الأدارسة في المغرب الأقصى (١٧٢ – ٣١١ هـ)"**.- دورية كان التاريخية. العدد الثامن؛ يونيو ٢٠١٠ ص٨٦.

(٣) محمد عبد الله عنان. **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين**. مكتبة الخانجي بالقاهرة 1990. ج١ ص٤٨.

(٤) عبد الله العروي. **مجمل تاريخ المغرب**. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء- المغرب. الطبعة الثانية ٢٠٠٩ ص٢٧٠.

(٥) عصمت عبد اللطيف دندش. **دول المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ١٠٣٨م-١١٢١م**. دار الغرب الاسلامي، السلسلة الجامعية، طبعة ١. ١٩٨٨ بيروت ص ٣١.

(٦) عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة .الطبعة ٢، الرباط ٢٠٠٣ ص٣١.

(٧) عبد العالي الودغيري. **"اللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء: الماضي والحاضر والمستقبل"**. مجلة التاريخ العربي العدد ٢٦ السنة ٢٠٠٣، مطبعة النجاح الجديدة الدارالبيضاء، ص ٦١ .

(٨) حسن حافظي علوي. **"جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود"**. مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، عدد (٢٣)، السنة ١٩٩٩، ص ١١٢.

(٩) علي محمد الصلابي. **فقه التمكين عند دولة المرابطين. صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الافريقي**. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٠٦. ص ١٠٥.

(١٠) شوقي عطا الله الجمل. **"تمبكت وعلاقتها بالمغرب قبل حملة المنصور السعدي وتحت الحكم المغربي"**. مقال ضمن كتاب **المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث**. سلسلة ندوات ومناظرات (٢)، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط ١٩٩٢،ص٣٣.

(11) Ivan hrbek et jean dévisse. L'almoravide en histoire générale de l'Afrique. Paris-Unesco. Vol III 1990 p 365.

(١٢) عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة .الطبعة ٢،الرباط ٢٠٠٣ ص٣٧.

(١٣) عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة .الطبعة ٢،الرباط ٢٠٠٣ ص٣٧.

(١٤) عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة. الطبعة ٢، الرباط ٢٠٠٣ ص٥٧.

(١٥) عنان محمد عبد الله. **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٠ ص ٣٥٦.

(١٦) محمد علي الصلابي. دولة **الموحدين: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الافريقي**. دار البيارق للنشر عمان ١٩٨٨ ص١٦٩.

(١٧) عبد الهادي التازي. **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**. الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية. المجلد السابع ١٩٨٨م ص٣٩.

(١٨) إبراهيم حركات. "**مدخل إلى التاريخ الإجتماعي العسكري لعهد بني مرين**". مجلة البحث العلمي، السنة ١٤، العدد ٢٨، يوليوز-دجنبر ١٩٧٨ الرباط، ص ٩١.

(١٩) أحمد عمالك. "**إسهام الزاوية الناصرية في ربط اتصلات بين بلدان الشمال الإفريقي خلال القرنين ١١ و١٢ هـ**". مجلة دار النيابة السنة ٦، العدد ٢٢، ربيع ١٩٨٩، ص ١٨١٩.

(٢٠) **المورسكيون في المغرب**. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة ندوات: الندوة ٢ شفشاون، ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠، مطبعة المعارف الجديدة الرباط ٢٠٠١، ص ٥٩.

(٢١) عمر بكر محمد قطب، "**الأبعاد النفسية للمحنة الموريسكية**". دورية كان التاريخية. العدد التاسع، سبتمبر ٢٠١٠. ص ١٦ ١٨.

(٢٢) **المورسكيون في المغرب**. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة ندوات: الندوة ٢ شفشاون، ٢١٢٣ شتنبر ٢٠٠٠، مطبعة المعارف الجديدة الرباط ٢٠٠١، ص ٦٠.

(٢٣) عبد الهادي التازي. **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**. الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية. المجلد السابع ١٩٨٨م ص٤٠.

(٢٤) محمد الحسن العبدروس. **الصليبيون والحملات الاستعمارية في شمال إفريقيا**. دار الكتب الحديثة القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٤ ص ٩.

(٢٥) محمود المحمود. "**في العلاقات الاستراتيجية بين العرب وإفريقيا**". مجلة الوحدة، عدد ٩٧، أكتوبر ١٩٩٢، ص ١٤.

(٢٦) رجب محمد علي. **موارد أفريقيا والأطماع الاستعمارية**. دار التعليم الجامعي، الاسكندرية. الطبعة الأولى ٢٠١٥ ص ٢٢.

(٢٧) الوطاسيون ينحدرون من القبائل الأمازيغية للمغرب، اقتسموا السلطة مع المرينيين في المغرب خاصة في منطقة الريف من هناك بدأ توسعهم حتى أطاحوا بالمرينيين، ويمكن اعتبار أن دولة الوطاسيين لم تدم طويلا، حيث ما فتئوا يعملون على استرجاع ما سطا عليه الغزاة وعلى تطويق الخطر الذي كان يهدد البلاد نتيجة التواطؤ الأجنبي على المغرب، وربما كان البعض يتصور أن هذه الفترة، فترة ركوض بالنسبة للسياسة الداخلية والخارجية، والواقع أنها من أنشط الفترات وأكثرها خاصة في صد الحملات البرتغالية والاسبانية، إلا أن ظهور السعدين وشنهم لحملات انطلاقا من الصحراء أتى على الوجود الوطاسي. انظر: عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة. الطبعة ٢، الرباط ٢٠٠٣ ص ٦٩.

(٢٨) محمد الفاسي. "**موقعة واد المخازن الحاسمة**". مجلة البحث العلمي، الرباط، عدد ٩، ديسمبر ١٩٦٦، ص ٣٢.

(٢٩) شوقي عطا الله الجمل. **تمبكت وعلاقتها بالمغرب قبل المنصور السعدي وتحت الحكم المغربي**. سلسلة ندوات ومناظرات (٢) معهد الدراسات الإفريقية، مراكش، ٢٣٢٥ أكتوبر ١٩٩٢ ص ٣٦.

(٣٠) محمد الغربي. **الحكم المغربي في السودان الغربي**. دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى 1982 ص ٤٧ .

(٣١) شوقي عطا الله الجمل. "**الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا وسماتها ودور المغرب فيها**". مجلة المناهل، عدد ٧ نوفمبر ١٩٧٦ ص ١٠٢.

(٣٢) عبد الهادي التازي. **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**. الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية. المجلد السابع ١٩٨٨م ص١٠١.

(٣٣) معهد الدراسات الإفريقية. **فاس وإفريقيا: العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية**. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة١ السنة ١٩٩٦ ص ٨٧.

(٣٤) عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة .الطبعة ٢،الرباط ٢٠٠٣ ص٩٨.

(٣٥) عبد المجيد قدوري. **المغرب وأوروبا ما بين القرنين ١٥ و١٨: مسألة التجاوز**، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ص٢١٦.

(٣٦) محمد القبلي. شمال **المغرب إبان فترة الحماية وبداية عهد الاستقلال**. منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب. أعمال ندوة ٥ – ٦ أبريل ٢٠٠٨ ص٢٧.

(٣٧) عبد الهادي التازي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**. مطبعة المعارف الجديدة .الطبعة ٢، الرباط ٢٠٠٣ ص١٠٨.

(٣٨) الفقرة ٢ من تصدير **الدستور المغربي** لأكتوبر ١٩٩٦، وكذا نص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس بمناسبة الدستور الجديد ١٧ يونيو٢٠١١ ص ٤.

(٣٩) بهجي إيناس حسني. **دول شمال إفريقيا: السودان، مصر، ليبيا، تونس، الجزائر**. دار التعليم العربي، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ٢٠١٥، ص ٨.

(40) El Kadiri Abdelkader. Les groupements régionaux en Afrique antérieure à l'OUA : le cas du groupe Casablanca. Dans le Maroc et l'Afrique après l'indépendance. Publication de l'institut des études africaines. Rabat 1996, p 114.

(41) Brahim ben Brahim. Contribution de l'OUA à la libération de l'Afrique. Revue marocaine de droit et d'économie du développement « Rmded » N° 9. 1985 rabat. P 58

(٤٢) عبد الحي المودن. **علاقات المغرب بجنوب إفريقيا**. معهد الدراسات الإفريقية الرباط، ١٩٩٦م ص ١١.

(43) Abdellah saaf. Pour une recherche renouvelée sur les relations Maroc-africaines : le Maroc et l'Afrique après l'indépendance. Publications de l'institut des études africaines. Rabat 1996 p 12.

(٤٤) المحجوب الهيبة. "**العضوية في منظمة الوحدة الإفريقية**". المجلة المغربية للقانون والاقتصاد والتنمية. الربـاط عدد ٩. ١٩٨٥ ص ٨.

(45) Abdellah saaf. Notes sur les relations entre le Maroc et quelques pays africains : le mali, le Gabon, le zaïre. L'institut des études africaines. Rabat. 1996.p 88.